سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٣٦/ ٦)

تَفْرِيْغُ سِلْسِلَةِ لِقَاءَاتٍ بِعُنْوَانِ:

قِرَاءَاتٌ

فِي الرَّسَائِلِ الشَّخْصِيَّةِ لِشَيْخِ الإِسْلامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ-

تَدْفَعُ عَنْهُ الافْتِرَاءَاتِ

(اللقاء السادس)

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حفظه الله-

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

«قراءات في الرسائل الشخصية لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب تدفع عنه الافتراءات» (اللقاء السادس)[1]

لفضيلة الشيخ العلَّامة د. محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فحياكم الله -معاشر الأحبة- في هذا اللقاء الذي هو اللقاء السادس في هذا اليوم؛ يوم الثلاثاء، الموافق للثلاثين من شهر ذي القِعدة عام واحدٍ وأربعين وأربعمئةٍ وألفٍ من هجرة المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه-.

هذا اللقاء نواصل فيه الكلام في دفع الافتراءات عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تبارك وتعالى، وأدخله الجنة بغير حساب ولا عقاب-.

هذا اللقاء -معاشر الأحبة- هو عن فِريةٍ ثالثة أو رابعة؛ فإنَّ الفرية الأولى هي قولهم: إنه ليس له شيوخ!

والثانية: أنه أتى بدينٍ جديد!

والثالثة: أنه يدَّعي النبوة إما بلسان مقاله أو بلسان حاله!

وهذه هي الفرية الرابعة التي افتريت عليه -رحمه الله تعالى وغفر له-، هذه الفرية:

---

(١) ألقاه فضيلته يوم الثلاثاء ٣٠ ذو القعدة ١٤٤١هـ.

هي أنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -كما يسميه خصومه خصوم هذه الدعوة: (ابن عبد الوهاب)، وصدقوا هو ابن عبد الوهاب ما يضره -رحمه الله تبارك وتعالى- إن دعوه بهذا، فهو ابن عبد الوهاب -رحمه الله-، ولكن ما أرادوه من هذه الكلمة هو التنقُّص، وقد أعلا الله -سبحانه وتعالى- شأنه، ورفع ذِكْرَه، وأخمد هؤلاء، وطمس ذِكْرَهم، فلا ذِكْرَ لهم، وأطفأ نار فتنتهم، فلا بقاء لرواجها -وإن كانت موجودة-، لكن لا بقاء لرواجها على العقلاء المنصفين -ولله الحمد-.

وهؤلاء الذين افتروا عليه -رحمه الله تعالى وغفر له- هؤلاء قد ماتوا، فلم يَعُد لهم ذِكْر كمثل ذِكْرِ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب على مستوى العالم الإسلامي، بل وغير العالم الإسلامي على مستوى الكرة الأرضية حيثما وجد مسلم.

فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد امتنَّ علينا -معاشر المسلمين- في هذه الأعصار المتأخرة بهذا الإمام المجدد لدين الله -تبارك وتعالى-.

وخصومه من عصره وإلى يومنا يتوارث بعضهم بعضًا، من عهد من ذكرنا من ابن مويس، وابن سحيم، وابن عفالق، وابن عبد اللطيف، والحدَّاد، وغيرهم، وغيرهم، إلى أن جاء في هذه الأعصار الديوبنديُّون والكوثريُّون، وهم وُرَّاث أولئك السابقين، كلهم يزعمون أنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -مَن يدعونه وينبزونه بابن الوهاب هكذا- جاء بمذهبٍ خامس!

ومن أشد هؤلاء عداوةً في العصر الحديث الديوبنديُّون، كخليل أحمد السهارنفوري ومن لفَّ لفَّه، والكوثري أيضاً، وهو من أشد الناس حقداً على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومحاربةً لدعوته -رحمه الله تعالى-.

أقول: الكوثري كذلك من هؤلاء، وإلى عهدنا هذه الأيام القريبة كالبوطي -محمد سعيد رمضان البوطي-.

وكلام هؤلاء لا نريد أن نسوِّد به الصحائف، فهو موجود، ومن أراد فليدخل على النت، وليكتب هذا العنوان: (الوهابية مذهبٌ خامس!) أو (الوهابية مذهبٌ جديد!)، أو هذا العنوان الثالث: (الوهابية ليسوا حنابلة!).

هذه الثلاثة العنوانات، أكتب -أيها شئت- أيها الأخ المستمع الكريم، سيخرج لك سيلًا من المنكرات والأكاذيب والافتراءات، ويكفينا أن نجمعها تحت هذا المسمى الذي توارثوه جميعاً، فإنَّ المعاصر يأخذ ممن سبق، ومن سبق من المتأخرين أمثال الكوثري وخليل أحمد السهارنفوري ومن لفَّ لفَّهم، يأخذون ممن سبق ممن ذكرنا أسمائهم قبل قليل، زيني دحلان، وعلوي الحداد، وكذلك مَن ذكرناهم ممن ناوؤا الشيخ في بلاد نجد والأحساء وغيرها، فإنَّ أمثال هؤلاء لا يستحيون من الكذب.

وهؤلاء المعاصرين الذين ينقلون عنهم كذلك لا يستحيون من الكذب، فنسأل الله العافية والسلامة.

وهذه الفرية لم يزل هؤلاء المفترون يردِّدونها على مسامع الناس، ويكثرون من ذِكرها؛ ليُضِلُّوا الناس بها عن سبيل الله، وليصدوهم عن الحق، والوقوف عليه، والاطِّلاع عليه.

ولكنَّ الله -سبحانه وتعالى- لا يصلح عمل المفسدين.

ولله الحمد: كلام الشيخ -رحمه الله- أعني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «رسائله الشخصية» واضحٌ غاية الوضوح في نقض هذه الفرية الصلعاء التي هي في الحقيقة فعلاً فريةٌ بلا مرية.

فإنَّ الناظر في كتاباته هذه -أعني: رسائله الشخصية- يجد النص الصريح الواضح الجلي في ردِّها وتكذيبها.

وأول نقلٍ ننقله -معاشر الأحبة- لهذا الإمام الهمام المجاهد في سبيل نصرة دين الإسلام وإظهاره بين الأنام ابتغاء الأجر والثواب من المَلِكِ الوهاب -سبحانه وتعالى-، أول ما نقرأ نقض هذه الفرية وإسقاطها وإسكات أهلها ممن يرفعها في وجوههم، فإنه إذا رفعها في وجوههم أسكتهم -بإذن الله تبارك وتعالى-، وأخرسهم، وألقمهم حجرًا.

أقول: أول ما نقرأ من رسالته -رحمه الله تعالى- في «رسائله الشخصية» صفحة (٤٠) حيث وجَّه هذه الرسالة -رحمه الله- إلى أهل مكة، يقول -رحمه الله-:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام وتابعِ الأئمة الأعلام، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بنيانٍ في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كَبُرَ هذا على العامة لظنهم أنه تنقيصٌ للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله.

فلما أظهرنا هذه المسألة -مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور- كَبُرَ على العامة جداً، وعاضدهم بعض من يدَّعي العلم لأسبابٍ أُخَر لا تخفى على مثلكم؛ أعظمها: اتباع هوى العوام مع أسبابٍ أُخَر، فأشاعوا عنا أنَّا نسب الصالحين، وأنَّا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها، وأنا أخبركم بما نحن عليه».

إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «فنحن -ولله الحمد- متَّبعين غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-».

ويقول أيضاً في رسالته إلى عبد الله بن عبد الله الصنعاني في صفحة (١٠٧) من «رسائله الشخصية» -رحمه الله-، حيث قال:

«الحمد لله، والصلاة والسلام التام على سيدنا محمد سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام.

إلى عبد الله بن عبد الله الصنعاني -وفَّقه الله وهداه وجنَّبه الإشراك والبدعة وحماه-، أمَّا بعد:

فوصل الخط، وتضمن السؤال فيه عما نحن عليه من الدين، فنقول -وبالله التوفيق-:

الذي ندين الله به: عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بعبادة غيره، ومتابعة الرسول النبي الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه محمدٍ ﷺ».

إلى أن قال في صفحة (١٠٧) قال: «وأما مذهبنا: فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها» هذا كلامه في هذا الموضع الثاني -رحمه الله تعالى-.

فنصَّ على أنه -رحمه الله- على مذهب الإمام أحمد، وليس هو على مذهبٍ جديد، ولم يأتِ بمذهبٍ جديد.

واسمعوا بيان ذلك أيضاً بياناً شافيًا واضحاً كافياً، حيث ردَّ على هؤلاء المبطلين في باب دعواه الاجتهاد وأنه جاء بمذهبٍ جديد!

يقول -رحمه الله تعالى- في هذا الجزء أو هذا الكتاب الذي هو «الرسائل الشخصية» في رسالته إلى العلامة البهكلي -رحمه الله تعالى- حينما قال:

«الحمد لله الذي نزَّل الحق في الكتاب، وجعله تذكرةً لأولي الألباب، ووفَّق مَنْ مَنَّ عليه من عباده للصواب لعنوان الجواب، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيه ورسوله وخيرته من خلقه محمدٍ وعلى آله وشيعته وجميع الأصحاب، ما طلع نجمٌ وغاب، وانهلَّ وابلٌ من سحاب.

من عبد العزيز بن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، إلى الأخ في الله: أحمد بن محمد البهكلي -سلَّمه الله من جميع الآفات، واستعمله بالباقيات الصالحات، وحفظه من جميع البليات، وضاعف له الحسنات ومحا عنه السيئات-.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أمَّا بعد:

لفانا[1] كتابكم، وسُرَّ الخاطر بما فيه بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم، وسؤالكم عما نحن عليه، وما دعونا الناس إليه».

إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «وأما ما ذكرتم» هذا في صحيفة (٩٦)، قال: «وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مُقلِّدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد» يعني الراجح «من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل -رحمهم الله تعالى-».

هكذا يصرِّح -رحمه الله- أنه وإن كان على مذهب الإمام أحمد إلا أنه -رحمه الله تعالى- يأخذ أيضاً من المذاهب ما كان عليه المعتمد ويتبعه، ولكن هذا متى؟ بيَّن -رحمه الله- أنه متى صح دليله، وصار أقوى وأرجح عنده -رحمه الله-.

فبيَّن أنه وإن كان حنبلياً إلا أنه يأخذ بالمعتمد من أقوال الأئمة -رحمهم الله تعالى- أصحاب المذاهب الأربعة، وإذا كان كذلك؛ فأين القول عنه بأنه جاء بمذهبٍ خامسٍ جديد؟ لا إله إلا الله، بعد هذا الكلام الواضح من هذا الإمام يُفترى عليه مثل هذه الافتراءات!

---

(١) قال الشيخ هنا: يعني أي أتانا.

ولكن له في رسول الله ﷺ والأئمة المصلحين من قبله القدوة والأسوة.

وقد -أيضاً- بيَّن هذا غاية البيان أبناؤه، وتلاميذه، وأحفاده، وتلاميذ تلاميذه، وأئمة هذه الدعوة المباركة بيَّنوه غاية البيان، وردَّوا على هؤلاء المفترين في كل عصرٍ وزمان.

ومن أحسن ما جاء في هذا -لعلنا ننقله زيادةً على كلام الشيخ نفسه-، من أحسن ما جاء في هذا ما جاء في رسالة ابنه الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، حيث جاء في رسالته التي هي في بيان ما عليه أئمة الدعوة، وكذب ما نُسِبَ إليهم هذه الرسالة التي كتبها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بعد دخول الإمام سعود ابن الإمام عبد العزيز ابن الإمام محمد بن سعود بعد دخولهم مكة المكرمة سنة ثماني عشرة ومائتين بعد الألف جواباً لمن سأله عما يعتقدونه وعما يدينون الله به، فأجابهم -رحمه الله تعالى- بهذه الرسالة الطويلة، والتي جاء فيها قوله:

«ونحن -يعني أصحاب هذه الدعوة- ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ولا ننكر على من قلَّد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، لا نُقِرُّهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة، بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة.

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد، ولا أحد مِنَّا يدعيه إلا أنَّا في بعض المسائل إذا صحَّ لنا نصٌ جليٌ من كتابٍ أو سنةٍ غير منسوخٍ، ولا مخصصٍ، ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة؛ أخذنا به وتركنا المذهب».

إلى أن قال: «فنأمر الحنفي والمالكي مثلًا بالمحافظة على الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة، فلا نأمره بالإسرار،

وشتان ما بين المسألتين، فإذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص، وإن خالف المذهب وذلك يكون نادراً جدًا.

ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، ولا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق، وقد سبق جمعٌ من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختياراتٍ لهم في بعض المسائل مخالِفةً للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه».

يعني أنه ما من مذهب إلا وتجد في بعض أتباعه من علمائه الكبار من يخالف إمامه الذي يقلده إذا صح الدليل عنده، بخلاف قول إمامه.

يقول -رحمه الله-: «ثم إنَّا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة، ومن أَجَلِّها لدينا تفسير ابن جرير، ومختصره لابن كثير الشافعي، وكذلك البغوي، والبيضاوي، والخازن والحدَّاد، والجلالين، وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري، والنووي على مسلم، والمناوي على الجامع الكبير.

ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها، ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعًا، وقواعدَ، وسيرًا، ونحواً، وصرفاً، وجميع علوم الأئمة، ولا نأمر بإتلاف شيءٍ من المؤلفات أصلًا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك» إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

فيا أيها الإخوة الكرام ويا معاشر الأحبة:

هذا كلام الإمام الصريح وكلام أئمة الدعوة -رحمهم الله تعالى- من بعده، كثيرٌ في هذا الباب، ولا نستطيع أن نأتي له على حصر، والذي يهمنا دائمًا وأبداً كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في نقض ما نُسِبَ إليه من الافتراءات من خلال «رسائله الشخصية» -رحمه الله تعالى-.

أقول بعد هذا الكلام الواضح كله: لا إله إلا الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:٤٠].

فإذا نظرت إلى هؤلاء الكذَّابين الذين أَفَكوا وائتفكوا ورموا الشيخ -رحمه الله تعالى- بالأكاذيب ممن سبق ذكرهم كابني سحيم، وابن مويس، وابن عدوان، مربد التميمي، والعتيقي، وابن فيروز، وابن عفالق، والكردي، ودحلان، والدجوي، والقبَّاني، وابن جرجيس، والحدَّاد، والشَّطِّي، والكوكباني في اليمن، وعمر محبوب في تونس، وابن سلّوم، وابن سند، وغير هؤلاء، إذا نظرت إلى مقالاتهم وجدتها بعينها عند المتأخرين أمثال الديوبنديين خليل أحمد السهارنفوري، ومن لفَّ لفَّه، وأمثال الكوثري، ومن سلك مسلكه، وأمثال هؤلاء الذين يصدون عن دين الله -تبارك وتعالى- ويبغونها عوجًا، فهؤلاء ما نفعهم علمهم؛ وذلك لأنَّ الهوى قد غلب عليهم، فهم وإن كان عندهم علم لكنَّ الهوى قد غلبهم، ومن أعماه هواه فلا حيلة فيه -معاشر الأحبة-، أقول: من أعماه هواه لا حيلة فيه -معاشر الأحبة-.

وهنا ينبغي أن تعلموا فائدةً عظيمة: وهي أنَّ العالِم -وإن كَبُر- إذا لم تدركه رحمة الله ويوفقه الله للعدل؛ فإنَّ علمه لا ينفعه، يكون حجةً عليه.

ثم إنَّ العالِم إذا وقع في نفسه هوى لا يبالي ما يقول وما يأتي، وهنا نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

فالعالِم إذا وقع في قلبه هوىً على شخصٍ ما ولم تدركه رحمة الله؛ فإنه لا يبالي أن يأتي حتى بالكذب الواضح والجهل الفاضح، وهذه سنة الله -تبارك وتعالى- في أن يكشف صاحب الباطل مهما كان حاله، ومهما كانت منزلته، ومهما كان مقامه بين الناس، لماذا؟ ليري الله -سبحانه وتعالى- أهل الحق الحق بدلائله لا بقائله.

فإنَّ الحق -معاشر الأحبة- إنما يُعرف بالدلائل لا بعظمة القائل.

ونحن نتحدى هؤلاء جميعاً أن يأتونا بنصٍ واحد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تبارك وتعالى- خالف فيه الأئمة المعتبرين -رحمهم الله تعالى- حتى يكون قولهم سليماً ومستقيماً، وأنه جاء بمذهبٍ جديد.

فإنَّا لا نعلم لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قولاً شاذاً، فما من قولٍ جاء به حتى ولو خالف فيه المعتمد في المذهب عند المتأخرين من أصحابنا الحنابلة؛ إلا وتجده -رحمه الله- يوافق روايةً من الروايات عن الإمام أحمد في هذه المسألة، إذِ الإمام أحمد -رحمه الله- له رواياتٌ كثيرة، أحيانًا في المسألة الواحدة، له روايتان، وثلاث، وأربع، وأقصى ما علمنا تقريباً خمس روايات تأتي في بعض المسائل عنه، فما من مسألة يخالف فيها المذهب في بعض الأحيان، وكما سمعتم قول الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- قوله: (وهذا نادرٌ جدًا).

أقول: نعم، فما من مسألةٍ يخالف فيها المعتمد من المذهب إلا وله رواية أخرى فيها عن الإمام أحمد يوافقها، وهكذا الأئمة الأربعة تجده يوافقهم إذا أخذ بمثل هذه الرواية، تجد هذه الرواية الأخرى عن الإمام أحمد إما موافقةً لقول أبي حنيفة، وإما موافقةً لقول مالك، وإما موافقةً لقول الشافعي.

فأين هذا المذهب الجديد الذي جاء به -رحمه الله تعالى ورضي عنه-؟

ألا قبَّح الله الكذب والكذَّابين.

هذا آخر ما نقول، والله أعلم، وصـلَّى الله وسـلَّم وبارك على عبده ورسـوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين»[1].

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الخَامِس عَشَر مِنْ شَهْرِ ذِيْ الحِجَّةِ عَامِ وَاحِدٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ

tafrigh-1438@hotmail.com

(١) انتهى هذا اللقاء، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ أو غفلةٍ أو نسيانٍ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.